المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد 6 - الإصدار 61
تأريخ النشر: 20 نوفمبر 2024 م

الكبت الجنسي (جذور وآثار مشروع فرويد الإفسادي)

Sexual Repression (The roots and effects of Freud's corruptive project)

إعداد الدكتورة/ عبير إبراهيم قارة

أستاذ مساعد في كلية جدة العالمية، المملكة العربية السعودية

Email: Abeer@jicollege.edu.sa

الملخص

يدور هذا البحث حول قضية الكبت الجنسي وما يفرضه هذا الموضوع من إشكاليات متشعبة، تتعلق بعاملين اثنين، الأول داخلي عميق، له علاقة بالتكوين الشخصي والنفسي للمسلم، وجذور هذا التكوين والبناء ومدى صلابته، وقابليته للتأثر بالعامل الخارجي ثانياً، والمتمثل بالمذاهب والتيارات المتخبطة والمتناقضة في آرائها، والقائمة على أساس من الإفساد للعقول والنفوس، وأبرز من يجسد مسار الإفساد في هذا الباب هي - مدرسة فرويد في التحليل النفسي - لذا تناولتُ في بحثي الطبيعة الإنسانية بجانبها النفسي، وحاجاتها ضمن المنظومة الدينية المتكاملة في طرق تلبيتها وتهذيبها لتلك الحاجات، وعن ماهية مدرسة فرويد في التزييف والإضلال، واتبعتُ في هذا الطرح منهجاً تحليلياً نقديّاً لإشكالية الكبت الجنسي، بتتبع نشأته وجذوره ومَن تبناه كمُنطلق له لبثّ سمومه الفكريّة والعقديّة، وقمتُ بنقد تلك الأفكار وبيان زيفها من خلال عرض منظومة الرّشد والسّوية والفضيلة. توصلت من خلال هذه الدراسة إلى إن السبب الرئيسي لنشأة الاضطراب النفسي هو مخالفة سنن العافية والصحة التي أمر الله عز وجل عباده أن يأخذوا بأسبابها ضمن ضوابط وحدود الشريعة، والمنظومة الدينية الإسلامية تكفلت للمؤمنين بتحصيل السعادة النفسية في أسمى صورها، وليس على مستوى الدنيا فقط بل سعادة الدنيا والآخرة، ولم تفلح آراء فرويد في معركة البقاء ونفع البشرية، لأجل جذورها الفاسدة والمفسدة والنوايا الخبيثة في إضلال الناس، ترحب المنظومة الإسلامية بالعلوم التي تؤدي للغايات نفسها التي وجدت لأجلها الشريعة، وهي تحقيق مصلحة الإنسان العاجلة والآجلة، وفوزه بالجنة ورضوان الله عز وجل والنجاة من النار.

وفي ضوء ذلك توصي الدراسة بأن على المسلم أن يتحرى الحقائق ضمن دائرة تكليفه وإحساسه بالمسؤولية، فلا يغتر بالعلوم التي تدعي شفاء الإنسان ونجاته من الهلاك، بل عليه أن يكون يقظاً في كل ما يأخذ ويرد، وعلى الآباء أن يدركوا مسؤوليتهم في التربية وبناء الأسرة.

الكلمات المفتاحية: الجنس، الكبت، الدين، العلمانية، مشروع فرويد.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد 6 - الإصدار 61
تأريخ النشر: 20 نوفمبر 2024 م

Sexual Repression (The roots and effects of Freud's corruptive project)

Abstract:

This research revolves around the issue of sexual repression and the complex problems that this topic imposes, related to two factors, the first is deeply internal, related to the personal and psychological makeup of the Muslim, the roots of this makeup and structure and the extent of its solidity, and its susceptibility to being affected by the external factor, secondly, represented by the doctrines and trends that are confused and contradictory in their opinions, and are based on the corruption of minds and souls, and the most prominent of those who embody the path of corruption in this regard is - Freud's school of psychoanalysis - so I addressed in my research human nature with its psychological aspect, and its needs within the integrated religious system in the ways it meets and refines those needs, and about the nature of Freud's school in falsification and misguidance, and in this presentation I followed an analytical and critical approach to the problem of sexual repression, by tracing its origins and roots and who adopted it as a starting point for spreading its intellectual and ideological poisons, and I criticized those ideas and demonstrated their falsehood by presenting the system of maturity, normality and virtue. Through this study, I have concluded that the main reason for the emergence of psychological disorder is the violation of the laws of wellness and health that God Almighty has ordered his servants to take its causes within the controls and limits of Sharia. The Islamic religious system has guaranteed believers the achievement of psychological happiness in its highest forms, not only on the level of this world, but also the happiness of this world and the hereafter. Freud's views did not succeed in the battle for survival and benefiting humanity, due to its corrupt and corrupting roots and malicious intentions to mislead people. The Islamic system welcomes sciences that lead to the same goals for which Sharia was created, which are achieving the immediate and future interests of man, and his winning of Paradise and the pleasure of God Almighty and salvation from Hell. In light of this, the study recommends that Muslims should investigate the facts within the circle of their duties and sense of responsibility, and not be deceived by sciences that claim to heal man and save him from destruction, but rather they should be vigilant in everything they take and give, and parents should realize their responsibility in raising and building the family.

Keywords: Sex, Repression, Religion, Secularism, Freud's Project

1. المقدمة:

ضمن منظومة الهداية نحو التي هي أقوم، لن يجد العاقل ثغرة تجعله ينظر لأعمدة تلك المنظومة بعين الشك والاعتراض، أو يُدبر عنها زاهداً بالبناء الذي تكفّل برعاية واحتواء حاجاته وغرائزه، ولطالما شغلني هذا البناء القويم، والمتكامل في فهم الإنسان وجعله متصالحاً مع نفسه، إلا أن هذا الإنسان عندما يقع في اختناقات الإغواء والتقاليد والعرف الاجتماعي الفاسد، فيحول ذلك دون تنفس يعيد إليه توازنه ورشده، فيقع فريسة النظريات والتيارات المريضة، ثم لا يجد لنفسه مخرجاً إلا بالانجراف خلف تيار الإفساد..

لكن ثمة تيارات أخرى محسوبة على منظومة الإصلاح قد تحفّز تلك الاختناقات، فإن كانت منظومة الرشد والهداية تكفّلت ببناء الإنسان ورعايته من الجذور حتى الساق والأوراق، نجد من يريد أن يصلح عطب الساق واصفرار الأوراق دون أن يلقي نظرة واحدة على فساد الجذر وتفشي المرض في الداخل العميق جداً، فيكسو خطابه بالترهيب من ويلات الجموح الجنسي، والعرف الاجتماعي يصول ويجول في تكريس ثقافة الكبت والخجل..

ولأن المجتمعات من طبيعتها النفسية التمسك بالعاطفة الدينية قلما نجد ديانة سماوية أو أرضية تخلو من طقوس تعتبرها خاصة بها في التقرب إلى الله ومعرفته، فتخطئ من حيث تدري أو لا تدري في تجاوز الحدود في التزامها بتلك الطقوس، فتحرم ما أحل الله، أو تحلّ ما حرم الله، وتأخذ بنفسها ببرامج ورياضات روحية ضلت عن بوصلة المنهج الرباني، وشرعت رهبانية ما أنزل الله بها من سلطان، وقتلت جانباً حقه أن يحيا كبقية الجوانب، وحقه أن يكون له غذاء يشبعه، لا يترفه ولا يتسبب في قحطه، بل ينتشله من ضيق تلك المذاهب والمشارب لسعة المنهج الربّاني والطريق المستقيم.

1.1. إشكالية البحث:

نجد في عقول البعض ممن يتبنى فكرة الإباحية المطلقة خوفاً من الوقوع في الكبت أو المرض العصبي، واقع نجده في عقول شبابنا اليوم، ويتفاقم مع غياب البديل الصالح، ويصعب التعامل معه في ظل انتشار الفتن والمغريات وطغيانها على مؤثرات التربية الصحيحة، ورغم اشتمال المنظومة الدينية على آليات التزكية النفسية ومنهجيتها، يحصل التجاهل التام للعلاج الديني، واستبداله بالمنهج الوضعي الذي لا يعدو أن يكون مجرد فرضيات علاجية للمشكلات النفسي، ليست قوانين ثابتة وسنن نفسية لا تقبل التغيير والتبديل، ففي المنظومة الدينية الإسلامية، نجد في القرآن الكريم وعوداً إلهية للمؤمنين بالحياة الطيبة المستقرة والمطمئنة إن هم استقاموا على شريعة الله سبحانه وذكروا الله كثيراً.

2.1. أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث بتسليط الضوء على نقطة غاية في الأهمية خاصة في وقتنا الحاضر، وهي ادعاءات باطلة تتمثل في تسبب الالتزام بالشريعة وتفاصيلها ومقاصدها، بما يؤدي لاضطراب نفسي يتمثل بكبت جنسي وما ابتدعوه أيضاً من أشكال مختلفة من اضطرابات، والمنظومة الدينية لا يوجد ضمن بوصلتها ما يؤدي إلى الخلل والاضطراب من قريب أو من بعيد، لكن الممارسات العشوائية المجانبة والمعادية للدين ككل هي في الحقيقة منشأ كل اضطراب نفسي وفكري وسلوكي.

3.1. منهج البحث:

اتبعتُ في هذا الطرح منهجاً تحليلياً نقديّاً لإشكالية الكبت الجنسي، بتتبع نشأته وجذوره ومَن تبناه كمُنطلق له لبثّ سمومه الفكريّة والعقديّة، وقمتُ بنقد تلك الأفكار وبيان زيفها من خلال عرض منظومة الرّشد والسّوية والفضيلة.

4.1. الدراسات السابقة:

لم أقف على أبحاث أكاديمية تتناول الأبعاد الإفسادية لمدرسة فرويد، هذا ما دفعني للبحث في هذا الإشكال، فهذا الطرح يستحق من الباحث أن يتناوله من كافة جوانبه، النفسية والدينية والاجتماعية، لكن لفرويد نفسه سلسلة يشرح فيها نظريته في التحليل النفسي كان لا بد من الاطلاع عليها للإحاطة بأفكار البحث، أذكر منها:

ـ الكبت، تحليل نفسي، تأليف: سيغموند فرويد.

ـ ثلاثة مباحث في نظرية الجنس، ترجمة: جورج طرابيشي.

ـ التحليل النفسي، علماً وعلاجاً وقضية، ترجمة الدكتور مصطفى حجازي.

ـ الموجز في التحليل النفسي، سيغموند فرويد.

وثمة مقالات تناولت هذا الموضوع:

1- مقال (فرويد في الموقف الديالكتيكي) للكاتبة " إميل جعبري "
2- مقال (هل كان فرويد يهودياً أو ملحداً؟) للكاتب " عبد القادر عقاب " ضمن شبكة الألوكة.
3- مقال (مقارنة بين منهجين، النفس عند فرويد وفي الإسلام) هيثم أبو الغزلان، مجلة البلاد رقم العدد، 409.

5.1. أسئلة البحث:

1- ما هو الكبت الجنسي؟
2- هل الكبت الجنسي يصنف ضمن الأمراض النفسية؟
3- من هو فرويد؟
4- ما هي أبرز آرائه وأفكاره؟
5- ما هو موقع الدين ضمن الفكر الفرويدي؟
6- هل ثمة جذور الحادية افسادية تتخلل تلك الأفكار؟
7- كيف تعامل الإسلام مع حاجات الإنسان الفطرية؟
8- كيف بنى الإسلام الإنسان الراشد والمنضبط والمسؤول؟

2. الإطار النظري:

المبحث الأول: الصحة النفسية ومنشأ الاضطراب النفسي

المطلب الأول: تعريف الكبت الجنسي

الكَبت في اللغة العربية: الصّرع، وقيلَ الكَبت صرع الشّيء لوجهه، وفي التنزيل العزيز قوله: {أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ} (آل عمران: 127) أي أُذلوا وأُخذوا بالعذاب، قال الأزهري: وقال من احتج للفراء: أصل الكبت الكَبَد، فقلبت الدال تاء، وهو معدن الغيظ والأحقاد، فكأن الغيظ لما بلغ بهم مبلغه، أصاب أكبادهم فأحرقها، وفي الحديث: أنه رأى طلحة مكبوتاً أي شديد الحزن، وقيل الأصل فيه مكبود، بالدال، أي أصاب الحزن كبده.[1]

[1] ـ أنظر لسان العرب لابن منظور، الجزء 13، ص 8

يقول المحلل النفسي يونغ " إن الكبت الجنسي ليس مجرد كبت غريزة، بل إن خطورته تجعل الإنسان يتدهور روحياً ومعنوياً، فهو عذاب نفسي وإحساس عميق باليأس وانعدام القيمة، فالجنس هو طاقة حيوية وإيجابية تعمل على توازن الشخص روحيّاً ومعنوياً، لذا يصبح الكبت هو المحرك القوي في النظام النفسي لدى الإنسان، ونقطة ضعف ملائمة لتحول الكثير من الشباب لسلوكيات متطرفة بحثاً عن القيمة، وبما يختصر العذابات النفسية "

فمتى يبدأ الخلل ومن أين ينشأ؟

لقد زوّد الله عز وجل الإنسان بوظائف مختلفة، ووضع له البوصلة الكفيلة بتحقيق التناسق فيما بينها وقيامها بمهماتها، بما يحقق التوازن وحالة من الصحة والسوية النفسية، ولقد عرف هادفيلد الصحة النفسية " بأنها التعبير الكامل والحر عن كل طاقاتنا الموروثة والمكتسبة، وهي تعمل بتناسق فيما بينها، في اتجاهها نحو هدف أو غاية للشخصية من حيث هي كلّ..

ويبدأ الاضطراب من تعطل تناسق هذه الوظائف، وخلل في قيامها بوظائفها، ولا شكّ أن العقيدة الدينية وتأثير الإيمان بعمقه وتغلغله في العقل والنفس يشكل دافعاً قويّاً لإيجاد هذا التناسق، وخلق التوازن والاستقرار النفسي.

كما أن بواعث الإيمان لا تتعارض مع مطالب النفس الحياتية، فيمكن للشهوات والأهواء النفسية والجسدية أن تحقق ذاتها ومطالبها من خلال قنوات الإيمان والسلوك الإيماني، الملتزم بشرائع الإسلام، لأن الإسلام في أحكامه ملائم للفطرة البشرية في السلوك السوي، وهو يضبطها ويحسن توجيهها لا يمنعها، ولا يكبتها، ولا يقصيها، ولا يحصيها.[2]

إذاً يضمن الدين والعقيدة الإسلامية صحة نفسية للإنسان، عندما تفرض تلك السلوكيات المنضبطة بالشريعة نفسها، لكن يبدأ الخلل عند الإعراض عن مبادئ الشريعة من حيث هي منهج حياة للفرد والمجتمع سويّاً، فيبدأ الاضطراب النفسي، فالكبت الذي هو محور بحثنا يظهر عندما نمرّ بحالات تبرز فيها دوافع لا يناسبنا أن تظهر أمام الآخرين مثل الدوافع العدوانية أمام مجتمع يسعى لأن يكون السلام سائداً فيه، أو الدوافع الجنسية أمام مجتمع ينكر الحديث عنها ضمن ثقافته وضمن مؤسساته بدءاً من الأسرة وانتهاءً بالتعليم والمناهج، فيلجأ الإنسان المكبوت في هذا الحالة إلى إبعاد الدافع عن ساحة الشعور ويسعى إلى دفنه بعيداً عن تلك الساحة أو ما هو قريب منها.. فإذا ألحّ الدافع عليه وتشدّد في كتمانه كان هذا هو الكبت المرضي، فهو آليّة إخفاءٍ بتأثير من رقابة يشعر المرء بشدتها بالنسبة إليه، وتبلغ خطورته كونه يحتل مكانة كبيرة في حيز اللاشعور ويقود إلى حالة من التطرف ووضع أغلال حول الشخصية.[3]

إن منشأ الصحة النفسية يبدأ من الانسجام مع سنن الله عز وجل في اتباع أسباب الصحة تلك، وأسباب الوقاية من المرض، فكما أن للعافية الجسدية سنناً وقوانين، تتمثل بالغذاء الصحي والحركة واجتناب ما هو مضر بالصحة، مزهق للعافية، كذلك للصحة النفسية سنناً وقوانين، وما يصلح من حالها وينفع ومالا يصلح، وكذلك المرض النفسي ينشأ من الاصطدام مع قوانين الصحة النفسية والفكرية، هذا هو منهج التزكية المتكاملة التي جاءت بها شريعة الإسلام لتشتمل كل جوانب الشخصية، وكل مجالات الحياة والواقع.

المطلب الثاني: العلاقة الوثيقة بين الفطرة الإنسانيّة السويّة وحاجة التدين

يقول الله عز وجل {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ} [الأعراف: 172]

[2] ـ أنظر ابتلاء الإرادة بالإسلام والإيمان والعبادة، ص 305
[3] ـ أنظر الصحة النفسية، ص155

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد 6 - الإصدار 61
تأريخ النشر: 20 نوفمبر 2024 م

مع كل المعارك التي يشنها أعداء الإسلام لتشويه البذرة الطيبة، ونواة الإيمان العميق داخل النفس الإنسانية، ثمة ما قد يطرأ على النفس يوقظها من غفلتها، يقول الشيخ الميداني في كتابه " ابتلاء الإرادة " أن ربوبية الله مغروزة في فطر نفوس الناس، وإن نسي الناس حدث الإشهاد الذي أخبر الله عنه للتعريف به، والإشهاد على الربوبية قد تمّ في عالم الذرّ بعد منح الله الوحدات الذرية التي نمت منها الكائنات البشرية بعد ذلك الصفات التي تؤهلها لإدراك الخطاب، ولمعرفة ربوبية الله للعباد، ولشهود أدلة هذه الربوبية، وبعد أن شهدت لله بأنه هو ربّها، أي خالقها وممدها بغذاء البقاء والنماء، مسح من ذاكرتها هذا الحدث، وأبقى في عمق فطرتها ما يهديها إلى إدراك ربوبيته والتماس عونه ومدده، والخضوع له.[4]

وثمة منافذ للفطرة تتلقى إيقاعات من الكون والحياة، فتستيقظ من غفلتها، إن كانت غافلة، فتروح تتساءل: ما وراء ذلك؟ ومن وراء ذلك؟ فتهتدي إلى وجود الله ثم تتصوره على حقيقته، فرداً صمداً خالقاً رازقاً مدبراً مهيمناً، فتعبده العبادة الحقة وتخلص له العبادة، فهناك بادئ ذي بدء هذا الكون الهائل، الذي يروع الحس بضخامته المعجزة، وبغير الأدوات التي استحدثها الإنسان لتزيد بصره حدة، وتجعله ينفذ في آماد الكون المتطاولة التي لا تنفذ إليها النظرة بالعين المجردة، كان الإنسان يحس بضخامة الكون وسعته المعجزة، من رؤية السماء التي لا يحيط بها بصره، ورؤية الشمس والقمر، ورؤية العدد الهائل من النجوم التي يعجز عن إحصائها، وكان يروعه ذلك كله ويسترعي انتباهه فيظل يفكر فيه، ويتساءل، أو تتساءل فطرته، من وراء ذلك؟ وماذا وراء ذلك، فيهتدي إلى الله الحق..

ويتلقى الحس البشري إيقاعات من الحياة من حوله، كيف تكونت أول مرة على هذا النحو الذي نراه، من نبات وحيوان وإنسان، ما الحياة؟ وما سرها؟ من واهبها؟ وكيف يهبها؟ كيف ينمو الكائن الحي وتتغير أحواله من طور إلى طور؟ وكيف اختص الإنسان، دون مقدمات من الكائنات الأدنى منه بخاصية التفكير المجرد، وخاصية الرمز للأفكار بالكلمات ذات الأصوات والحروف والمقاطع، وخاصية الإبداع المادي والمعنوي، فصارت له حضارة وصار له تاريخ؟!

وما هو ذلك الجانب الآخر من الحياة الذي يسمى الموت، ما سره؟ كيف يحدث؟ من الذي يملكه؟ وتظل الظاهرات معاً، ظاهرة الموت وظاهرة الحياة، تهزان كيانه، وتبعثانه يتساءل: من وراء ذلك؟

ويتلقى الحس البشري إيقاعات من جريان الأحداث من حوله، فهذا الوجود حوله ليس ساكناً في أي حالة من حالاته، فهناك الليل والنهار في حركة يومية دائبة تنقل الأشياء كلها من النور إلى الظلمة ومن الظلمة إلى النور، وهناك دورة الفلك حركة سنوية تنقل الأشياء كلها من الربيع إلى الصيف، ومن الصيف إلى الخريف ومن الخريف إلى الشتاء، ومن الشتاء إلى الربيع، مع ما يصحب ذلك من اختلاف مستمر في الحرارة والبرودة والجفاف والرطوبة واخضرار الزرع وجفافه وإيناعه وإثماره ونضجه وسقوطه، واختلاف مستمر في نشاط الإنسان وأحواله بما يناسب الجو وأحواله والعمل وأحواله..

ويتلقى حس الإنسان إيقاعات ذاتية دائمة من شعوره بالعجز، فالطفل قد ولد عاجزاً تمام العجز لا يقدر على شيء، ولولا رعاية الذين يحيطونه بإمدادهم له بالغذاء وقضاؤهم له حاجاته ما استطاع أن يعيش، ورويدا رويدا قدر على شيء من الحركة وهو محمول في حضن والديه أو المكلفين برعايته، حتى يستطيع في وقت من الأوقات أن يجلس مستقلاً بعض الشيء، وفي اللحظة التي يقدر فيها على الجلوس يحس بالعجز عن المشي، ويجاهد حتى تمكن أخيراً من الحبو على الأرض، وفي اللحظة التي يقدر فيها على الحبو يحس بالرغبة في الوقوف والعجز عن تحقيق تلك الرغبة،

[4] ـ أنظر ابتلاء الإرادة، ص 17

وفي مرحلة تالية يتمكن من الوقوف ولكنه يحاول المشي فيقع على الأرض ويحس بالعجز عن تحقيق ما يريد، وتمضي الأيام والسنون فيمشي ويجري ويخرج إلى الطريق ويتعلم العلم ويحس بالقدرة على أشياء كثيرة لم يكن يقدر عليها من قبل، فهل تنقضي رغباته؟ وهل يكف عن الشعور بالعجز؟

كلا، فهو كلما حقق حلماً راح يشتاق جديداً، ولم يقنع بما وصل إلى تحقيقه، حتى لما ركب الصاروخ ووصل إلى القمر نزل على سطحه، وحتى حين سيطر على كثير من شؤون البيئة من حوله ونظمها حسبما يريد، وحتى حين اخترع الآلات ما صار يحقق في جزء من الثانية ما كان يستغرق منه الساعات والأيام والشهور، حتى حين وصل إلى ذلك كله فهل رضيت نفسه؟

كلا، إنه يريد في حقيقة الأمر شيئاً لا يقدر عليه، ويحس بالعجز الدائم عن تحقيقه، يريد أن يسيطر على الكون، ويريد أن يقول للشيء كن فيكون، ويعلم في دخيلة نفسه أنه عاجز عن تحقيق ذلك، وأنه مهما أوتي من القدرة والسيطرة على بعض جوانب الوجود، فإن بينه وبين السيطرة الحقيقية التي يحلم بها أمداً لا يمكن بلوغه، لأن مدى قدرته محدود بحدود ومدى عمره محدود بحدود، وهكذا يشعر الإنسان بالعجز كلما شعر بالقدرة..

ثم إن رغبة أخرى لا تقل عمقاً في نفسه عن رغبة السيطرة ورغبة الخلود، يحس فيها الإنسان بالعجز المطلق الذي لا تحده حدود، تلك هي رغبته في استكناه الغيب!

الرغبة في معرفة الغيب قديمة قدم الإنسان على الأرض، يرد الإنسان أن يطمئن على حياته، كم سيعيش؟ هل يسلم من الأحداث؟ هل سيحقق أحلامه؟ ماذا يكسب غداً؟ بأي أرض يموت؟ عشرات من التساؤلات يريد أن يعرفها ليطمئن..

يمضي الإنسان في جاهليته نحو الكاهن والعراف، يستلهمه أمر الغيب، ويتعلق بكل كلمة تخرج من شفتيه كأنها أسرار الغيب الحقيقي، ولكن.. هل يستيقن؟ هل يطمئن؟

يروح يستلهم حسه الباطن ويستلهم الرؤى، وتلك القوى الخفية التي في نفسه التي تقدر على الاستشفاف، فهل يطمئن؟ كلا إنه يشعر بالعجز الكامل تماماً.. [5]

لذلك طالما كان نداء الفطرة يتلقى إيقاعات تحفظ سلامتها واستقامتها، وتحقق انسجامها مع كل ما جبلَت عليه، فمهما حصلت من سعادة في اصطدامها ستنقصها سعادة هي فوق ذلك بكثير.

المطلب الثالث: علم النفس بين منظومة الإصلاح ومنظومة الإفساد

على خلاف التجاهل والرفض التام الحاصل بين الأديان والفكر الفرويدي المتمثل بمدرسة التحليل النفسي، فإن الإسلام ليس بحالة من الصدام مع علم النفس ككلّ، والبحث في أعماق النفس وتنوع أحوالها دون أن يفرض الجانب النفسي نفسه كبديل عن الدين، أو مستغنياً عنه بشكلٍ أو بآخر، وحين تكتمل نظرة الإنسان لحقيقة وجوده، وطبيعة علاقته بالحياة، وعلاقته مع الله الذي خلقه وأوجده وكرمه لحكمة ومسؤولية كبيرة، وعلاقته مع الإنسان الآخر، عندها سيستقر حاله وتتوجه بوصلته، لكن عندما يعطي لنفسه حرية مطلقة في السؤال دون الجدية الكافية في تحصيل الأجوبة الصحيحة، سيتم اصطياده من قبل التأويلات الفلسفية الوضعية التخمينية للحال الذي آلت إليه نفسه، لم يفكر لحظة أن من خلق هذه النفس التي تارة تجعله في السماء السابعة، وتارة أخرى في سابع أرض، لن يحيط بأسرارها وماهية تقلباتها إلا من خلقها قوله تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14] لأنه خلقها فهو الأخبر بحقيقتها، وهو الأرحم بها لأنه يعلم ضعفها، وقوتها المستمدة منه وحده..

[5] ـ أنظر مذاهب فكرية معاصرة، ص 613، 617

في مقارنة قيّمة بين المنحى النفسي الفرويدي والمنهج النفسي الإسلامي يقول الأستاذ _ هيثم أبو الغزلان _ [6] "إذا كان الدين الإسلامي أحد العوامل الرئيسية في تهذيب وتغيير النفس الإنسانية، إلا أن الغرب قد طرح علم النفس كبديل للدين وليس مسانداً له، فقد اعتبرت الفلسفة الوضعية في قانونها الثلاثي أن المرحلة العلمية مرحلة ثالثة تنسخ المرحلة اللاهوتية والميتافيزيقية، فاستنجد المجتمع بالعلم الوضعي ليملأ كرسي الدين، واقتسمت العلوم الوضعية الموضوعات التي كانت تحتكرها الإجابة الدينية، وكان لعلم النفس في الغرب نصيبه من هذه القسمة، وإذا كان الغرب قد وضع الدين في مواجهة العلم، فإن ذلك لا يصح طرحه في ثقافتنا الإسلامية، فالعلوم الاجتماعية والإنسانية لا يمكن أن تكون بديلاً للدين، ولكنها يجب أن تكون مساندة له، تتقاسم معه التعريف بالظاهرة الإنسانية "

وبناءً على ذلك، فإن الأخطار التي تهددنا بنقل نتائج أبحاث تتم خارج بيئتنا الإسلامية وبمنظور يختلف عن ثقافتنا تظهر بصور عديدة، وعلى سبيل المثال، إذا نقل عالم النفس المفهوم السائد في المجتمعات الغربية عن الصحة النفسية والمرض النفسي دون أن يراعي الاختلاف بين البيئة الغربية والإسلامية سيفضي به ذلك النقل إلى القول بأن الزنا وسائر أشكال الشذوذ الجنسي على سبيل المثال سلوكيات سوية في ذاتها، وسيفهَم أيضاً أن الانحراف مفهوم اجتماعي يرتبط بالقيم السائدة في المجتمع، والحق أن القيم الإسلامية لا تختلف بين مكان وآخر.

وقد اهتم الإسلام كما العلم الحديث بالظواهر النفسية والغرائز الفطرية، العواطف السامية، الانفعالات النفسانية، تعديل الغرائز، الإدراكات الحسية، الأمور التفكيرية، التخيل المبدع، العادات التأثيرية، تداعي الخواطر وترابطها، الذاكرة وتقويتها، ولكن البعض يعيد هذه الأبحاث إلى علماء الغرب ولرجاله الفضل الأكبر في استنباطها، ويتجاهلون أن القرآن الكريم قد أسس قواعد علم النفس وأنار للعالم على ضوء النور الإلهي، طرق السير فيها، إذ أنه هو المعين الفياض، في إصلاح النفس وطرق تهذيبها، وإبراز الإنسان الكامل، وجعل البشر كله يدين بالصفات السامية والأخلاق الكاملة ليتوصل بذلك لنيل السعادتين الدنيوية والأخروية، تحت راية التوحيد وفي ظل الدين والشريعة.

ويتابع فيقول " إن النفس لها اعتباران، فباعتبار تعلقها بالجسم المادي، وإدارة شؤونه من حركات وسكنات سميت نفساً، وباعتبار تعلقها بالملأ الأعلى، وبما وراء المادة سميت روحاً. قال تعالى:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: 85] فالباحث في علم النفس يستطيع فهم الآيات فهماً سليماً إذا سلم من التأويل والإسقاط وحاول تأملها في ضوء المفاهيم القرآنية محافظاً على الدلالات اللغوية، ففي هذا المثال يستطيع الباحث في علم النفس فهم الآيات المتعلقة بأحوال النفس إذا استصحب التصور الإسلامي للإيمان في أثناء تأمله للآيات، أن الإيمان في التصور الإسلامي يزيد وينقص، وهو إذا زاد بلغ حال النفس المطمئنة، وإذا نقص انحط إلى درجة النفس الأمارة بالسوء، أوصاف لنفس واحدة وليست ثلاثة أنفس، وهي بهذا الشكل أحوال تتعاقب على النفس الواحدة تبعاً لزيادة الإيمان ونقصه، وعموماً هذه الخطوة ليست يسيرة أبداً على الباحثين لأنها تستلزم أمرين: الأول العلم الشرعي، وثانياً وجود ضوابط يدرك بها الباحث ما هو مقبول ومردود في علم النفس، وهذا يقتضي البحث في موقف حركة التأصيل من علم النفس الحديث، فليس المراد من مجاهدة النفس وتهذيبها استئصال صفاتها، بل المراد تصعيدها من سيء إلى أحسن، وتسييرها على مراد الله تعالى وابتغاء مرضاته، فصفة الغضب مثلاً مذمومة حين يغضب المرء لنفسه، لكن يصبح محموداً إن غضب لله عز وجل،

[6] ـ مقال بعنوان " مقارنة بين منهجين: النفس عند فرويد وفي الإسلام، هيثم أبو الغزلان، مجلة البلاد الالكترونية

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد 6 - الإصدار 61
تأريخ النشر: 20 نوفمبر 2024 م

كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب إذا انتهكت حرمات الله أو عطّل حد من حدوده، ولكنه حين أوذي في الله وضرب وأدمي عقبه يوم الطائف لم يغضب لنفسه، بل دعا لمن آذوه بالهداية والتمس لهم العذر فقال " اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون "

المبحث الثاني: مشروع فرويد وأبرز أفكاره الإفسادية

المطلب الأول: فرويد ومدرسة التحليل النفسي

ولد سيغموند فرويد في السادس من مايو 1856في أسرة تنتمي إلى الجالية اليهودية في بلدة بريبور بمنطقة مورافيا التابعة آنذاك للإمبراطورية النمساوية، والتي تعرف اليوم بتشيكوسلوفاكيا [7]، أنجبه والده جاكوب عندما بلغ 14 عاماً، وكان تاجر صوف، يذكر أنه كان صارماً متسلطاً، وكان قد أنجب طفلين من زواج سابق، والدة فرويد ـ أمالي ـ كانت الزوجة الثالثة لأبيه جاكوب، كان فرويد الأول لمن ثمانية أشقاء، ونظراً لذكائه المبكّر، كان والداه يفضلانه على بقية إخوته في المراحل المبكرة من طفولته وضحوا بكل شيء لمنحه التعليم السليم على الرغم من الفقر الذي عانت منه الأسرة بسبب الأزمة الاقتصادية آنذاك..

وفي عام 1857 خسر والد فرويد تجارته، وانتقلت العائلة إلى لايبزيغ قبل أن تستقر في فيينا، وفي عام 1865، دخل سيغموند مدرسة بارزة وهي مدرسة كومونال ريل جيمنازيوم الموجودة في حي ليوبولدشتات ذي الأغلبية اليهودية حينها، وكان فرويد تلميذاً متفوّقاً وتخرج في ماتورا في عام 1873 مع مرتبة الشرف..

كان فرويد قد خطط لدراسة القانون، لكن بدلاً من ذلك انضم إلى كلية الطب في جامعة فيينا للدراسة تحت إشراف البروفسور الداروينى كارل كلاوس، وفي ذلك الوقت كانت حياة ثعبان البحر لا تزال مجهولة، مما حدى بفرويد أن يقضي أربعة أسابيع في مركز نمساوي للأبحاث الحيوانية في تريستي ليقوم بتشريح المئات من الثعابين البحرية في بحث غير ناجح عن أعضائها الجنسية الذكورية..

لقد كان فرويد تلميذاً متفوقاً، احتل المرتبة الأولى في صفه عند التخرج ولم يكن مسموحاً لإخوانه وأخواته أن يدرسوا الألات الموسيقية في البيت لأن هذا كان يزعج فرويد ويعوقه عن التركيز في دراساته، التحق بمدرسة الطب عندما بلغ السابعة عشرة من عمره، ولكنه مكث بها ثماني سنوات لكي ينهي الدراسة التي تستغرق عادة أربع سنوات، ويرجع ذلك لمتابعته وانشغاله بكثير من الاهتمامات خارج مجال الطب، ولم يكن فرويد مهتمّاً في الحقيقة بأن يصبح طبيباً ولكنه رأى أن دراسة الطب هي الطريق إلى الانغماس في البحث العلمي ن وكان أمل فرويد أن يصبح عالماً في التشريح، ونشر عدداً من البحوث العلمية في هذا المجال وسرعان ما أدرك أن التقدم في مدارج العلم ومراتبه سيكون بطيئاً بحكم انتمائه العرقي وإدراكه، فضلاً عن حاجته إلى المال دفعه إلى الممارسة الإكلينيكية كمتخصص في الأعصاب عام 1881 ميلادية..

تعرّف على جوزيف بروير، وهو من أبرز أطباء فيينا، وكان ناصحاً لفرويد وصديقاً ومقرضاً للمال وتأثر به وأعجب بطريقته الجديدة في علاج الهستيريا، وهي طريقة التفريغ التي اتبعها بروير، يستخدم فيها الإيحاء التنويمي في معالجة مرضاه لتذكّر أحداث لم يستطيعوا تذكرها في اليقظة مع المشاعر والانفعالات الخاصة بالحدث مما يساعد المرضى على الشفاء عن طريق التنفيس عن الكبت حصل على الدكتوراه وعمل في معمل إرنست بروك، وعمل في مستشفى فيينا الرئيسي.

ونشر أبحاث عدة في الأمراض العصبية، وعين محاضراً في أمراض الجهاز العصبي، وتسلم منحة صغيرة أتاحت له أن يسافر

[7] ـ أنظر الموجز في التحليل النفسي، ص9

ويدرس في جامعة سالبتريير مع طبيب نفسي فرنسي مشهور هو ـ جان مارتن شاركوا ـ الذي كان يستخدم التنويم المغناطيسي لعلاج الهستيريا..

وعندما عاد إلى فيينا ومع مزيد من التجارب تبين لبروير أنه يمكن الاستعاضة عن التنويم المغناطيسي بما سماه أحد مرضاه " العلاج بالمحادثة " بأن يتحادث مع المريض في موضوعات انفعالية دون الاستعانة بالتنويم المغناطيسي، يؤكد ذلك أن علاقة الطبيب الذي يستخدمه التنويم المغناطيسي مع مرضاه لا يختلف كثيراً عن علاقة المحلل النفسي بمرضاه، لأن كلاً من المنوم المغناطيسي والمحلل يأخذ دور الإرادة العليا، فلا بد للمريض من الإذعان الكامل لإرادة المنوم المتأله تماماً، فيفضي بما داخله فيتطهر، وهذه العملية في حالة المحلل النفسي تتم من خلال التفسير والبوح..

كن تلك المناقشات مع المرضى حول التفاصيل الجنسية شكلت حالة تحير لدى بروير، على عكس فرويد الذي وجد في أقوال مرضاه وردود أفعالهم مفاتيح يمكن استخدامها في علاجهم، الأمر الذي أدى ببروير في عدم اقتناعه في الدور الحاسم للجنس في المرض النفسي إلى قطيعة بين الإثنين عام 1896م [8]

نصل من هذه التوطئة لأهمية دراسة نظرية فرويد ضمن **سياقها الحضاري** (الاجتماعي والاقتصادي والفلسفي والسياسي) العام حتى نفهم نظريته وندرك أبعادها، والسياق الحضاري لنظرية التحليل النفسي هو الحضارة الغربية الحديثة في العقود الأخيرة في القرن التاسع عشر، والتي هيمنت عليها العلمانية الشاملة (وحدة الوجود المادية) باعتبارها رؤية للكون، وقد تفرعت عنها ايديولوجيات وظواهر أخرى مثل الامبريالية والعنصرية والصهيونية، العلمانية الشاملة بصفتها رؤية حلولية كمونية واحدية مادية ترى أن مركز العالم كامن فيه، وبالتالي كل الظواهر بما فيها الإنسان يفسر ضمن إطار قوانين الحركة المادية، فهو كائن طبيعي غير قادر على تجاوز قوانين الطبيعة المادية. [9]

المطلب الثاني: سيكولوجيا الفكر الفرويدي:

يقول فرويد بنزوتين أساسيتين توجهان الإنسان وتمدانه بالطاقة الحيوية، نزوة الحياة ونزوة الموت، توصل فرويد إلى القول بهما في نهاية بحثه العيادي والنظري، أما نزوة الحياة فهي منبع الطاقة الجنسية، المسؤولة عن كل رباط إيجابي مع الآخرين، عن كل علاقة عاطفية متعاطفة، هي المسؤولة عن التقارب والتوحيد والتجميع وتكوين وحدات حية أكبر فأكبر، على العكس منها نزوة الموت التي تهدف إلى التدمير، إلى تفكيك الكائن الحي والعودة به إلى وضعية الجماد، فهي إن تركزت فيه تؤدي إلى تدميره وإفنائه، أما إذا توجهت إلى الخارج فإنها تأخذ كل أشكال العدوانية والتدمير والعنف والحقد، وعندما تتوجه إلى الذات بشكل مخفف فإنها تأخذ طابع مشاعر الإثم وإدانة الذات والقسوة عليها والتشدد معها، على العكس منها نزوة الحياة التي إذا تركزت في الذات تشكل أساس ومصدر كل اعتبار ذاتي، محبة الذات والحفاظ عليها، وقد تصل حد الأنوية المفرطة. ويرى فرويد أن " الليبيدو " وهو الطاقة الجنسية الممثلة لنزوة الحياة، في صراع مفتوح مع غريزة الموت، مهمة الليبيدو هي لجم نزوة الموت ومنعها من تدمير الإنسان، وذلك بتوجيه القسم الأكبر منها إلى الخارج، فالنزوتان متفاعلتان داخلياً وخارجياً..

ومن الضروري الإشارة إليه، هو أن هاتين النزوتين لا تمارسان تأثيرهما كطاقتين حيويتين بشكل خام، أي أنهما تركزان منذ الطفولة الأولى في العلاقات مع الأم خصوصاً، ومع الوالدين عموماً، موقف الرضيع الانفعالي من أمه متجاذب يتضمن أقصى درجات الحب مع أقصى حالات الغضب الحاقد عندما تحبط الأم رغباته، وكذلك الحال تجاه الأب،

[8] _ أنظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الجماعات اليهودية، ص 439
[9] _ أنظر المرجع السابق، ص 440

هذا التركيز النزوي في العلاقات الأولى وما يتخذه من طابع متجاذب، يولّد ويكوّن التصورات الأولى عن الشخص الإنساني وعن العلاقة عموماً فيما يسمى بالصور الوالدية الأولية،هذه الصور بجانبها المحبوب، وبما تستقطبه من حقد، هي النموذج الأولي لكل علاقة تالية، وكل علاقة لا بد متأثرة بتلك الصور الأولية التي قد يطغى عليها الطابع الإيجابي المرحب الرحوم، الصور الجيدة الطيبة، أو الطابع القاسي المهدد، العنيف، الصور السيئة أو الشريرة.(10)

إذاً نستطيع أن نلخص آراء فرويد بأنه:

1- أقام فكره على الإلحاد بإنكار الخالق عز وجل، والأخلاق واعتبار الإنسان كائناً ماديّاً ناتجاً عن تطور المادة تطوّراً ذاتيّاً، فهو غير مكلف من قوى غيبية بمسؤولية، وغير متابع من قبلها بحساب ولا جزاء.

2- زعم أن كل سلوك الإنسان يرجع إلى دافع وحيد في كيانه منذ ميلاده حتى موته، ألا وهو الدافع الجنسي، فهو الدافع الوحيد في حياة الإنسان، وتتشكل ظواهره بأشكال كثيرة في سلوكه.

3- بناء على ذلك ينبغي إعطاء الدافع الجنسي الحرية المطلقة، ويجب عدم تقييده بأية قيود دينية، أو خلقية أو قانونية أو أسرية، أو عادات وتقاليد اجتماعية.

4- ادعى أن كبت الدافع الجنسي هو المسؤول عن الإصابة بالأمراض العصبية في الناس ومنها الهستيريا، وأن كل مرض عصبي يمثل اضطراباً في الوظائف الجنسية، وبالتالي فإن هذا الكبت هو من فعل المجتمع والدين والأخلاق والتقاليد، فهي التي تحول دون تنفيس الإنسان عن رغباته، وحتى لا يقع الإنسان بأية مشكلة عصبية، يجب أن يلبي رغباته الجنسية بأي وسيلة كانت.

5- اخترع قصة خرافية مفادها أنها كانت هي السبب في ظهور الدين والأخلاق والتقاليد، وأنها ما تزال تؤثر في حياة البشرية، وهي أن الأولاد في العائلة القديمة شعروا بالرغبة الجنسية نحو أمهم، لكن أباهم كان حائلا بينهم وبين تحقيق رغبتهم، فاجتمعوا عليه فقتلوه، ليستمتعوا بأمهم، ثم أحس الأولاد بالندم على قتل أبيهم، فقدسوا ذكراه، وتحول هذا التقديس إلى عبادة للأب.. ثم نزعت نفس كل واحد منهم للاستئثار بالأم، لكنهم وجدوا أنه لن يتم ذلك مالم يتقاتلوا، ولو فعلوا لقتل بعضهم بعضاً، فاتفقوا على أن لا يقربها أحدٌ منهم، فكان ذلك أول تحريم في العلاقات الجنسية، في تاريخ البشرية، وهو تحريم الأم..

6- ويزعم فرويد أن كل الأطفال الذكور يصابون بعقدة "أوديب "في أول طفولتهم، وهو ميل الطفل الجنسي جنسيّاً نحو أمه، ويقابلها عقدة "اليكترا " وهي ميل البنت نحو أبيها.

7- ينكر فرويد الرؤى المنامية التي تستشف تنبؤات من الغيب، إذ هو ينكر ما وراء المادة، فليس للنفس الإنسانية صلة بشيء غيبي، أو بعلم غيبي، وما يطابق الواقع من ذلك فهو مصادفة، وبما أن الكبت يرجع إلى الكبت الجنسي، باعتبار أن الجنس في رأيه هو الدافع الوحيد في كيان الإنسان، فإنه يفسر الأحلام تفسيرات تتصل بكبت الدافع الجنسي وبكل ما يتصل بالجنس.

8- وحتى لا ترفض آراؤه في توحيد كل الدوافع الإنسانية المختلفة بالدافع الجنسي، وسع مفهوم الدافع الجنسي، وأطلق عليه " الليبيدو" [11] وزعم أنه يشمل حياة الإنسان من الطفولة إلى الموت.

---

10 ـ أنظر التخلف الاجتماعي سيكولوجيا الإنسان المقهور، ص 194

11 ـ الليبيدو: كلمة لاتينية ومعناها التلذذ استناداً لشهوة حسية، وهي في الأصل تشتمل على لذة العيش عامة وكل المظاهر الإيجابية في الحياة، إلا أن فرويد اعتبر مفهوم الليبيدو مرتبطاً بمظاهر الحياة الجنسية فقط.

المطلب الثالث: الجذور الفكرية الإفسادية للمدرسة الفرويدية

ثمة اختلاف في انتماء فرويد، هل كان يهوديّاً أم كان ملحداً، والآراء متضاربة في هذا الشأن، فبينما نرى بعض المفكرين العض المفكرين الإسلاميين الذين درسوا أفكار فرويد قالوا، إنه ليس هناك علاقة بين أطروحاته وبين ما يدين به، وإنما هو كغيره من الباحثين الذين تأثروا بالتنوير الأوروبي الذي كان مترفاً بالعلم والمعرفة، وإن كانت نظرياته تهدم الدين والمبادئ والقيم الإنسانية.

يذهب عبد الوهاب المسيري إلى أن فرويد ينتمي بشكل كامل إلى الحضارة الغربية، التي هيمن عليها نموذج العلمانية الشاملة، ولا يمكن فهم الأفكار إلا في إطارها، حيث يرى أن المنظومة الفرويدية، هي في الحقيقة ليست إلا منظومة علمانية شاملة، يقول " الجماعة اليهودية التي كان فرويد ينتمي إليها كانت تتسم بقدر عال من التحلل الخلقي والاجتماعي، فيهود فيينا كانوا أساساً من يهود اليديشية الذين دخلوا مرحلة الانحلال الاجتماعي والثقافي بعد تعرضهم لعمليات العلمنة الشرسة والجذرية التي قامت بها الحكومات المطلقة، في روسيا وألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية، وبعد دخول الحاخامي مرحلة الأزمة وبعد هيمنة المنظومة القبلية الحلولية، فتحولوا من جماعة متماسكة إلى جماعة مفككة، فكانت عند يهود المجر واحدة من أعلى نسب الأطفال غير الشرعيين، أما الجماعة اليهودية التي أتى منها والدا فرويد، فكانت تعد من أكبر مصادر البغايا في العالم " [12]

تلك العناصر اليهودية الصّميمة تشبه بنيوياً عناصر داخل المنظومة العلمانية الشاملة بسبب الإطار الحلولي الكموني، الذي يجمع بينهما، وعلى الرغم من تأثير هذا العامل المهم، إلا أن المسيري يستبعد المؤثر اليهودي، إذ يطرح سؤال الانتماء اليهودي وأثره على ما يسميه بالمنظومة الفرويدية، ويقرر قضية البعد اليهودي في المنظومة الفرويدية التي هيمن عليها نموذج العلمانية الشاملة، والتي كانت قد بدأت تدخل في مرحلة السيولة واللاعقلانية المادية..

ولعلّ خطابه للراعي أوسكار "فيستر" يعبّر عن هذه الازدواجية، فقد سأله ساخراً: وبالمناسبة ما بال التحليل النفسي لم يبتدعه واحد من المؤمنين الأتقياء، وكان عليه أن ينتظر ليقوم بذلك يهودي لا إله له (أي: ملحد) فرويد هنا ليس يهوديّاً وحسب، وإنما هو ملحدٌ أيضاً..

لكن هناك بعض المفكرين الذين عارضوا هذا التحليل، وإن كانوا يوافقون ما خلص إليه المسيري في انتماء سيجموند للحضارة الأوربية التنويرية العلمانية، إلا أنهم أكدوا على أن الموروث الديني اليهودي كان المؤثر الوحيد بلا منازع، في طبيعة استنتاجاته وأبحاثه ونظرياته، التي غرضها الأساسي إخراج اليهود من المعزل الذي أُبعدوا فيه ردحاً من الزمن رغم وجودهم داخل المجتمع الأوروبي المسيحي المتحضّر ومحاولة تفكيكه، إذ كان يسعى دائماً عن سلّم الصعود والارتقاء في مجال العلم والحضارة والثقافة الإنسانية، وقد اتخذ من علم النفس التحليلي قاعدة مهمة في إرساء أفكاره الهدّامة، التي من أهدافها الإلحاد بالله، وإنكار الغيبيات، واعتبار الإنسان ظاهرة مادية فقط، بما فيه من فكر ونفس، وحياة، إضافة إلى نشر الإباحية الجنسية، وحث الإنسان على ممارسة رغباته الجنسية بحرّية تامة، لا تقف أمامها قيود دينية أو أخلاقية أو عادات وتقاليد اجتماعية، أو أي ضغوط من أي جهة كانت..

وكون المدرسة الفرويدية انطلقت من أساس الإلحاد واعتماد المادية، فما هي علاقة قوانين المذهب المادي الديالكتيكي بصياغة واستنتاج آراء ونظريات فرويد في التحليل النفسي؟

[12] _ أنظر موسوعة اليهود واليهودية والصهاينة للمسيري، ج 3، ص 442، 443

الجواب: اعتبر انجلز أن قوانين الديالكتيك الأساسية الثلاثة انطلقت من تاريخ الطبيعة والمجتمع البشري، وأشار إلى أنها قوانين واقعية تفعل في الطبيعة وتسري على العلوم النظرية وهذه القوانين هي:

أولا: قانون تحول الكم إلى كيف.

ثانياً: قانون تداخل الأضداد (ويعبر عنه بقانون وحدة وصراع الأضداد)

ثالثاً: قانون نفي النفي

اعتمد فرويد على عدد كبير من الدراسات والمشاهدات والتجارب ليصوغ منها استنتاجاته وتعاليمه، وافترض أن الحياة النفسية للإنسان هي وظيفة لجهاز نفسي له امتداد مكاني ويتألف من عدة أقسام واعتبر أ، ما حصله من معرفة لهذا الجهاز آتية من دراسة التطور الفردي للوجود الإنساني، وهنا نجد فاتحة العلاقة بين التحليل النفسي وبين الديالكتيك بصفته علم قوانين التطور..

يقسم فرويد الجهاز النفسي للإنسان إلى ثلاث مناطق: منطقة الهو، ومنطقة الأنا، ثم منطقة الأنا الأعلى، وكلّ من هذه الأجهزة هو ناتج تطوري ديالكتيكي لمكوناته، إذ الهو منطقة الميول الغريزية الأساسية مضمونه كل ما هو موروث، وكل ما يظهر عند الميلاد، وكل ما هو ثابت في الجبلة، وقد أدت العلاقات فيما بين هذه المكونات، التي يعتبر كل منها بحدّ ذاته تاريخ عميق الغور من تطور النوع الإنساني، إلى تشكل منظومة الهو التي تصدر عنها إحدى أعقد الكيفيات النفسية، تلك التي يسميها فرويد: كيفية اللاشعور..

كذلك يرى فرويد أن منطقة " الأنا " تنشأ عما يسميها الطبقة اللحائية من "الهو" تحت تأثير العالم الخارجي الواقعي مُشكّلة منظومة نفسية تتوسط بين الهو وبين العالم الخارجي، إذاً هو مرةً أخرى تطور ديالكتيكي حسب قانون الكم والكيف، تؤدي فيه عمليات يتجادل عبرها الواقع من خلال مؤثراته مع البنية الجسدية وجهازها الإدراكي، ومع منظومة " الهو " إلى نشوء " الأنا " الذي يشرف على الحركة الإرادية، ويقوم بمهمة حفظ الذات ويقبض على زمام الرغبات الغريزية التي تنبعث عن " الهو " تقع العمليات النفسية الشعورية على سطح الأنا، أما كل شيء آخر في " الأنا " فهو لا شعوري، وبذلك تتشكل طبيعة الأنا من هذه العلاقة الديالكتيكية بين النقيضين المتحولين، الشعور واللاشعور.

وعبر القوانين ذاتها تتشكل المنظومة النفسية الثالثة " الأنا الأعلى " منفصلة عن الأنا تحت تأثير فترة الطفولة الطويلة وعلاقة الطفل بوالديه أولاً، ومن في حكمهم ثانياً (المربون والمعلمون والمجتمع) هكذا يمثل " الأنا الأعلى " في جوهره ما أخذ عن الآخرين أي الماضي، تقوم بين هاتين المنظومتين / الماضيتين /(الأنا الأعلى والهو) وبين الأنا / الحاضر/ علاقة صراع معقدة من المراقبة والتهديد، والثواب والعقاب، والهدنة والحرب، والثورة والاستسلام، والتمرد والخضوع، تنتج عنها كيفيات نفسية شديدة التنوع من حالات السواء النفسي ومجاوراته المتداخلة القريبة والبعيدة..

وعلى المنوال ذاته ينطلق فرويد لطرح نظريته في الغرائز، التي يشكل قانون تداخل الأضداد عمادها الأساسي إلى جانب قانوني الديالكتيك الآخرين، فقد استقر رأي فرويد بعد تعديلات عديدة، على افتراض وجود غريزتين أساسيتين متجاورتين متداخلتين متصارعتين متضادتين: الأولى غريزة الإيروس أو الحياة، والثانية غريزة الموت أو التدمير، والغريزة حسب فرويد هي ذلك الضرب من الطاقة التي تصدر عن التكوين الأساسي للإنسان والتي تتبع أصلاً من مقوماته البيولوجية..

ومن المعروف أن دراسة قوانين تحولات الطاقة أساسية في علاقتها بقوانين الديالكتيك، الأمر الذي يسري بدوره على دراسة تحولات الطاقة الغريزية، التي يؤدي التراكم التكراري لتنبيهاتها إلى إحداث حالات نفسية متمايزة.

يقول فرويد " إن الظواهر السوية والشاذة التي نلاحظها تستلزم أن نصفها من زاوية الديناميات والكم، وفي حالة الوظائف الجنسية من زاوية التوزيع الكمي للطاقة الليبيدية حتى أنه يرى من الحقائق التي لا يمكن إنكارها أن القلق ينشأ مباشرة عن الليبيدو، في حالة الامتناع الجنسي أو في حالات الاصطدام غير المناسب بعمليات التهيج الجنسي، أو في حالات انحراف عمليات التهيج الجنسي عن مظاهرها السيكولوجية.

ومن المعروف أن أكثر الانتقادات حدة التي وجهت لفرويد حول نظريته الجنسية، وحول عقدة أوديب والتهديد بالخصاء الذي يتعرض له الطفل في المرحلة القضيبية من نموه، محور هذه الانتقادات يقوم على أن علاقة الأبوين بطفلهما ليست واحدة لدى كل الشعوب سوى البدائية أوتلاها، والرد الفرويدي على هذه الانتقادات في التعبير التالي " لا شك أن التهديد بالخصاء لا يفضي دائماً إلى هذه النتائج الرهيبة في الحياة الجنسية المتفحة لدى الصبي، وهنا أيضا يتوقف مبلغ الضرر الحادث والضرر الذي يمكن تفاديه على علاقات كمية..

واللافت هنا أن رأي فرويد ومنتقديه كليهما يقعان في الموقف الديالكتيكي بل يتكئان عليه، لأنهما يرجعان حصول الكيفية النفسية أو عدم حصولها إلى علاقات كمية.[13]

المطلب الرابع: الدين عند فرويد

لا نشكّ أبداً أن ما يتضمنه مشروع فرويد في التحليل النفسي يتنافى مع جوهر الفضيلة والمبادئ العليا والخطوط العريضة التي جاءت بها الأديان السماوية، ومهما تعقدت الحياة وتطورت العلوم فإن تلك الحالة الهستيرية المرضية التي قد يصل إليها الإنسان، ما كان ليصل إليها لو اختار لنفسه طريق الإيمان، وتنعّم بآثاره النفسية السوية والمطمئنة، لكن ما نراه منطلقاً أساسيّاً للفكر الفرويدي هو عداوته للدين، وترك الإنسان طريح وهمه وأهوائه ونزواته التي لا يمكن أن تضبط إلا بالقوانين التي تكفلت بسعادة الإنسان في دنياه وآخرته، ثم لا يجد لنفسه ملجأً من كل هذا الضياع والشتات إلا بالتمدد على السرير العلاجي الخاص بالعيادة الفرويدية..

يرى سيغموند فرويد الدي بأنه مرض نفسي، وفي هذا يقول الدكتور صالح الصنيع في كتابه التدين والصحة النفسية " إن أصحاب هذا الاتجاه _ مدرسة فرويد _ يرون أن الدين سبباً للإصابة بالأمراض النفسية، وهذا واضح عند مؤسس مدرسة التحليل النفسي فرويد، وظهرت أفكاره واضحة في كتابيه (قلق في الحضارة) و(مستقبل وهم) وقد خصص هذا الكتاب لمهاجمة الدين ودوره في حياة الناس، حيث تناول فرويد المصاعب والمشاق التي تنغص على الإنسان سعادته وصحته النفسية، ويصف لها مسكنات فيقول " إن حياتنا كما هي مفروضة علينا ثقيلة الوطء، وتغل أعناقنا بكثرة كثيرة من المشاق والخيبات، وحتى نستطيع لها احتمالاً فلا غنى لنا عن المسكنات، ولعل المسكنات على أنواع ثلاثة: أولها إلهيات قوية تتيح لنا أن نعتبر بؤسنا هيناً أمره، وثانيها: إشباعات بديلة تخفض من وطأته، وآخرها: مخدرات تفقدنا الإحساس به، وليس لنا عن واحدة من هذه الوسائل غناء، كما يربط فرويد بين السعادة وبين قطع الإنسان صلته بالواقع وبالدين، لأن الدين هذيان جماعي فيقول:" ثمة طريقة أخرى أكثر جذرية وأبعد شأواً، طريقة ترى في الواقع العدو الأوحد ينبوع كل ألم، فبما أن الواقع يجعل حياتنا مستحيلة لا تطاق، فلا بد من قطع كل صلة به، إذا كنا نحرص على السعادة بصورة من الصور، متى ما سعت الكائنات البشرية بأعداد كبيرة إلى تأمين السعادة لنفسها وإلى الاحتماء من الألم بواسطة تشويه خرافي للواقع (الدين) والحال أن أديان البشرية يجب أن تعتبر هذيانات جماعية من هذا النوع "[14]

[13] ـ أنظر الموجز في التحليل النفسي، ص 94
[14] _ أنظر مستقبل وهم، ص 38، 41، 43

كما يرى فرويد أن الدين لا يحقق السعادة التي يبتغيها الإنسان فيقول " إن الدين يضر بلعبة التكيف والانتخاب تلك، إذ يفرض على الجميع وعلى نسق واحد، طرقه الخاصة للوصول إلى السعادة وللفوز بالمناعة ضد الألم، وتقوم خطته على تخفيض قيمة الحياة وعلى تشويه صورة العالم الواقعي تشويهاً بالغاً، وهذا نهج يتخذ مسلّمه له زجر العقل وتخويفه، وبهذا الثمن يفلح الدين، بإلباس أتباعه بالقوة ثوب طفولة نفسية ويزجهم جميعاً في هذيان جماعي "

كم يرى أيضاً أن الشعور بالذنب الذي جاءت به الأديان هو مشكلة الحضارة وسبب نقص في شعورنا بالسعادة، فيقول " كان قصدنا من الرغم من كل شيء أن نصور الشعور بالذنب على أنه المشكلة الرئيسية لتطور الحضارة، وأن نبين فضلاً عن ذلك لماذا يتوجب علينا دفع فاتورة تقدم هذه الأخيرة بنقصان في السعادة ناجم عن تعزيز هذا الشعور ".

ويربط فرويد بين التدين وبين بعض المشكلات النفسية وهي العجز والشعور بالتفاهة، فيقول: " لا يزال النقاد يصرون على إطلاق صفة التدين العميق على كل إنسان يقرّ بما يراوده من شعور بتفاهة الإنسان وبالعجز البشري في مواجهة الكون، وهذا على الرغم من أن جوهر التدين لا يقوم على ذلك الشعور، وإنما بالأحرى على المسعى الذي يعقبه ويتفرع منه، أي رد فعل الإنسان على ذلك الشعور في محاولة لاتقائه والتحصن ضده، أن من يسلم بكل تواضع بالدور الضئيل الذي يلعبه الإنسان في فسيح الكون فهو بالأحرى لا متدين بأصدق معاني الكلمة "

تحت عنوان -ماذا يقول فرويد.. وماذا يقول القرآن

يفصّل المفكر – مصطفى محمود – في ماهية علم النفس الخاص بالتحليل النفسي الفرويدي، بالمقارنة مع المنهج القرآني، بأن علماء النفس في الغرب لا ينظرون إلى النفس إلا من خلال العيوب والأمراض، والآفات والعلل، ولا يفتشون إلا في الانحرافات والتشوهات والعقد، ولا يقدمون لنا شيئاً إيجابيّاً عن النفس السوية الصحيحة.

والمنبع الوحيد للسلوك عندهم هو إشباع شهوة، والمرجع الرئيسي الذي يفسر به فرويد جميع التصرفات هو عقدة أوديب، وعقدة الكترا، وهي شهوة الطفل في أن يجامع أمه وشهوة البنت في أن تجامع أباها، وهي هلوسة سمعها من مرضاه الهستيريين، فجعل منها تهمة عامة ألصقها بالكل ومن هنا كان الإحساس بالذنب عند فرويد مرضاً، والذم تعقيداً، والصبر على المكاره برودا، وقمع الشهوات كبتاً، له عواقبه الوخيمة..(15)

بينما نرى الدين يقف على النقيض من هذه النظرية، فيعلمنا أن قمع الشهوات هو شاهد على سلامة النفس، وأن الإحساس بالذنب علامة صحة، وأن التوبة موقف إدراك، والذم موقف علم، تدل جميعها على فطرة سوية أدركت الله وعرفت أنه دائما مع الحق والعدل والخير..

ولا يرى الدين أن النفس محض رغبة وفجور، بل يصفها بأنها قابلة للفجور وقابلة للتقوى، وأن الله ألهمها فجورها وتقواها، فهي تستطيع أن ترتقي في معراج نوراني نحو الله، أو أن تتهابط سفلياً في ترك الشهوات، وهي في ذلك مخيرة..

والقرآن يعلمنا أن هناك نوعين من الأحلام، نوعاً نطلق عليه " أضغاث أحلام " وهو حيث النفس الأمارة بشهواتها ورغباتها، أو حديث الشياطين إلى تلك النفس أثناء النوم وهو ما اشتغل فرويد بتفسيره، ثم نوع آخر من الأحلام وهو الرؤى التي تأتي إلى النفس من الملأ الأعلى، وتكون حديثاً من الله إلى نفس النائم، أو حديثاً من الملائكة المكلفين إلى تلك النفس، ومثال ذلك الرؤى الصادقة التي تتحقق بحذافيرها..

[15] ـ أنظر علم نفس قرآني جديد، ص 15، 16

ولا مكان لتلك الرؤى عند فرويد، ونظريته تعجز تماماً عن تفسيرها مع أنها خبرة عادية عاشها كل منا وجرّب طرفاً منها، كما أن رؤية المستقبل قبل حدوثه هي حالة تهدم الفكر المادي من أساسه سواء الفرويدي أو الماركسي، لأنها اثبات صريح يؤكد سبق الفكر على المادة، وسبق الغيب على الواقع، ولكن فرويد لا يرى من الأحلام إلا تلك الأضغاث والهلوسة الشهوانية، ولهذا يرى أن السعادة والراحة في اشباع تلك الشهوات، بينما يرى الدين أن السعادة في مخالفتها، والقبض على زمامها، والتسلق عليها عوداً إلى الوطن الأول، إلى الله الذي منه جاءت كل النفوس وإليه تعود.

وقد أثبت القرآن العظيم الرؤى في نصوص متعددة، فمنها رؤيا يوسف وهو غلام، يقول الله تعالى {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ رأيتهم لي ساجدين، قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [يوسف: 5] وقد تحققت هذه الرؤيا فيما بعد.

ومنها ما رآه فرعون مصر في عهد يوسف وهو في السجن..

ومنها الرؤيا التي رآها الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام، فلما صد عام الحديبية عن البين طعن المنافقون في ذلك وقالوا: أين رؤياه، فأدخله الله مكة في العام التالي وأنزل قوله تعالى: {لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: 27] فالآية تدل على أن الرؤيا الحق هي من الله، فالتكذيب بالرؤى التي هي من الله إنكار لحقيقة من الحقائق الكونية، التي من سنن الله في خلقه، وإنكار لظاهرة إنسانية موجودة في الناس في كل عصورهم، وكل أجناسهم وعقائدهم ومذاهبهم.

وآراء فرويد وكل الماديين الذين ينكرون الغيبيات حول تفسير ظاهرة الأحلام، هي من قبيل حصر هذه الظاهرة ببعض أنواعها، وآراؤهم في هذا نابعة من إنكارهم للروح، ولكل ما وراء المادة من قوى، وإنكارهم لله عز وجل ولقضائه وقدره، ولعلمه الشامل لما كان، ولما هو كائن، ولما سيكون في المستقبل.[16]

وبناء على ذلك، فإن التحليل النفسي الذي بدأه فرويد يقوم على أساسين فاسدين:

الأساس الأول: الإلحاد بالله، وإنكار الغيبيات، واعتبار الإنسان ظاهرة مادية فقط بما فيه من فكر ونفس وحياة. وهذا هو الأمر الذي جعلته القيادة اليهودية السرية دعامة الإفساد الأولى للمجتمع البشري.

الأساس الثاني: الإباحية الجنسية، وحث الإنسان على ممارسة رغباته الجنسية بحرية تامة، لا تقف أمامها قيود دينية، أو أخلاقية، أو عادات وتقاليد اجتماعية، وضمن المحافظة على هذين الأساسين انطلق فرويد في دراساته ومعالجاته الطبية النفسية وكتابة أفكاره وآرائه في علم النفس، ووضعه في قوالب " نظريات علمية ".

فلم يكن فرويد باحثاً نزيها متجرّداً من أول البحث، بل كل ما يريد أن يصل إليه هو تدعيم أساسية الفاسدين عن طريق البحث الذي قد يجد فيه ما يستطيع تزيينه، وضم بعضه إلى بعض، ليتخذ منه بناءً فكرياً مزخرفاً، تفرض عناصر الضعف والوهن من خلاله نفسها..

فقد كان فرويد طبيب أعصاب، ولا علاقة لعلم الأعصاب بعلم النفس ولا حتى بالطب النفسي، ولم يكن فرويد مدربا على أصول المنهج العلمي، الملاحظة والتجربة والموضوعية، واستخدام الطرق الإحصائية في معالجة النتائج، بل كان طبيباً تهمه الحالة التي في العيادة فقط..

[16] ـ أنظر كواشف زيوف، ص 304

ثم إن الانتقال من الفروض إلى القوانين غير مسوغ، لقد بدت عظمة نظريته بأنها تحتوي على كثير من الفروض والتي تحتاج إلى دراسات تجريبية كثيرة للتحقق منها، ولقد اتضح ابتعاده عن المنهج العلمي باعتباره لتلك الفروض بأنها قوانين غير قابلة للجدل حولها ولا للتحقق منها بواسطة باحثين آخرين، فقد كان يستمد نظرياته من على (الأريكة) التي كان يضطجع عليها مرضاه، وهم عينة صغيرة من طبقة ذات مواصفات خاصة، ورأى أن يعمم نظرياته التي استمدها من ملاحظاته في هذه الظروف الخاصة على الإنسان في كل زمان ومكان.

وإذا تجاوزنا كل ما سبق، ونظرنا إلى آراء فرويد الخاصة نظرة موضوعية غير متحيزة، فإننا نجدها منتقدة ومتخلفة جداً، في مجال الدراسات النفسية المعاصرة، أما فكرة تحليل دوافع النفس إلى السلوك فهي فكرة إنسانية قديمة، وليست بحد ذاتها من مبتكرات فرويد، إلا أن هذا الرجل قد أفرط في السبح الخيالي في تحليل تصرفات الإنسان، إفراطاً حشد فيه أوهاماً وفرضيات أقرب ما تكون إلى التخريف المطلق منها إلى الدراسة العلمية الموضوعية..

بيد أنه باتجاهه ودراساته نبه الباحثين النفسيين إلى البحث الموضوعي في مجال التحليلات النفسية، حتى تكونت مدارس التحليل النفسي في عالم العلم، وأصبحت مدرسة فرويد اليهودية في نظر الكثيرين بدائية جدا يقول الدكتور – عبد الحميد الهاشمي– " ليس لآراء فرويد تلك الهالة التي حاول بعض مناصريها أن يلبسوها ثوب الحقائق العلمية، فبعض الجهات العالمية تحاول أن تحيطها بالدعاية لتحقيق أهداف لها تنتج عن ترويجها والإقناع بها، والواقع أن الصحة النفسية إذ تسعى للإشباع الشرعي المعترف به، فإنها تدعو إلى الضبط والاتزان، لأن الحقيقة العضوية الفسيولوجية والنفسية تؤكد أن الإشباع الفوضوي المطلق يزيدها تفتحاً، وتصبح الشغل الشاغل، ومن أجل هذا فالصحة النفسية، في مناهجها التكوينية والوقائية، والعلاجية، دعت إلى التسامي والإبدال، بجانب دعوتها إلى الإشباع المشروع"

وهذه نقطة أخذها عليه زملاؤه وتلامذته في العلاج النفسي، وانفصلوا بها عن جماعته، ثم عارضوا آراءه ومواقفه، وأظهرت آراء فرويد بأنها تمثل في تطور الدراسات النفسية مرحلة بدائية متخلفة، لا ينبغي الوقوف عندها في مجال علم النفس الحديث، وهذا ما يذهب إليه البروفيسور" روبرت ودورث "الذي يعتبر من رواد علم النفس الحديث، في كتبه الكثيرة في علم النفس التجريبي، وعلم النفس الديناميكي، ورئاسته لعلم النفس في لجنة البحث القومي الأمريكي، فكانت آراء فرويد انعكاساً أو تبريراً للواقع الشاذ وليست دراسة علمية دقيقة.

المبحث الثالث: الإنسان الكامل صناعة منظومة متكاملة

المطلب الأول: الجنس بين مقاصد الشريعة وهرم أبراهام ماسلو

بين قوله تعالى: {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}[الإسراء:9] وقوله تعالى: { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}. [التين: 4] علاقة تبادلية تفاعلية تكاملية، فهو لما اقتضت إنسانيته أن يفهم الخطاب الذي يخصه ويعنيه، تمكّن من أن يرتقي بنفسه نحو تلك التي هي الأقوم، استطاع أن يرتقي بالخطاب الذي أنزل عليه ليلائم تكوينه المبدع المعجز، فالشريعة إنما جاءت لتحقيق ما فيه مصلحته وسعادته في الدنيا والآخرة، وتدفع عنه المفسدة وما فيه شقاؤه في الدنيا والآخرة، فأينما وجدت مصلحة الإنسان فثمة شرع الله، ومن مقاصد الشريعة حفظ الضروريات الخمس – حفظ النفس والدين والعقل والمال والعرض - ونظرة الإسلام إلى الجنس تقوم على إدراك فطرة الإنسان، ورامية إلى تلبية أشواقه وميوله، حتى لا يتجاوز أي فرد في المجتمع حدود فطرته، ولا يسلك سبيلاً منحرفاً يصطدم مع غريزته، بل يسير على مقتضى

المنهج القويم السوي الذي رسمه الإسلام وهو الزواج، يقول الدكتور مأمون المبيض " يقوم الإسلام على منظومة متكاملة عن الحياة، فالنمو الجنسي ما هو إلا جانب واحد من جوانب النمو المختلفة التي يمر بها الأولاد من طفولتهم إلى سن الرشد، وهو يعتبر أيضاً جزءاً من تعرف الطفل على نفسه وجسده، الأمر الذي قد يترك آثاره على شخصيته ومستقبله، ولهذا ينظر الإسلام إلى الجنس نظرة جدية، وبأنه موضوع يستحق أن تتنزل فيه آيات أو يتحدث عنه في كثير من أحاديثه النبوية..

فما يعرف بالجنس ليس بالضرورة أمراً قذراً، فالجنس في الإسلام غريزة ودافع بشري، غريزة أوجدها الله سبحانه لضمان استمرار النسل، وهي غريزة تحكمها الأخلاق ويضبطها المجتمع، ويتحدث الإسلام عن الجنس على أنه يقوم على قيم ومبادئ ثابتة في حياة الإنسان والبشرية، وليس أمراً قابلاً للتطور والتبديل بحسب أمزجة الناس وشهواتهم، فالإسلام ينظر للإنسان على أنه هو المتحكم في شهواته وميوله وليس العكس، كما تحاول أن تفعل بعض المجتمعات القديمة أو المعاصرة [17]..

كما أن رسالة الإنسان في الحياة لا تتم إلا من خلال احترام ملكاته، وإقرار شهواته، يقول الشيخ محمد الغزالي " لا بد من تهيئة الجو الخاص والعام كي يسلم الكيان البشري كله من العاهات العارضة والسدود العائقة، فما هو معنى إقرار الشهوات، وتركها تنساب؟

والجواب: أن الحياة على ظهر الأرض لا تتصل مواكبها، ولا يطرد نشاطها، ولا يرتفع مستواها،

وتزدهر حضارتها إلا بوقود من هذه الشهوات المتقدة، أترى بقاء الجنس الإنساني مكفولاً بشيء آخر وراء هذه الغريزة الكامنة في الذكر والأنثى؟

أترى اتساع العمران واطراد مسيره، إلا آثاراً لجملة من الطبائع المستترة وراء نشاط الناس وأمانيهم؟

غاية من هنالك أن الدين ينظم عمل هذه الطباع القوية، ويحسن توجيهها إلى أهدافها، فبدلاً من أن تتحول مياه النهر إلى فيضان مدمر يهلك الحرث والنسل، تخرج منه في قنوات محكمة، وترع منظمة، ومواعيد معلومة..[18]

ومن جانب نفسي فإن العضوية الإنسانية الحية تفقد قسماً من مركباتها وتتناقص لذلك كان لا بد لتعويضها لإعادة التوازن إليها عما فقدته، فينتج عن عملية التعويض تلك فضلات لابد من إخراجها، لذا تنشأ الحاجة لإخراج الفضلات، وحين تتعب هذه العضوية لابد لها أن ترتاح، ولبقائها لا بد من الابتعاد عن كل ما يضر بها، كما أن العضوية تلك مفطورة على الميل إلى تخليد جنسها فلا بد من القيام بعمل جنسي معين.[19]

ولقد أولى علم النفس الحديث ظاهرة تلبية حاجات تلك العضوية الإنسانية ومن المصادر المعتمدة في ذلك، نظرية الحاجات عند أبراهام ماسلو، رائد مدرسة علم النفس الإنساني، التي تقول بتفرد الإنسان وترفض المقررات التي تسوي بينه وبين الحيوان، والتي تصنف أولاً:

الحاجات الفسيولوجية: والتي تبدو أقوى الحاجات لأنها حاجات أساسية إلى الحياة نفسها مثل الحاجة إلى الطعام والحاجة إلى اللباس، والحاجة إلى المأوى، والحاجة إلى الزواج، وما لم تشبع هذه الحاجات الأساسية إلى درجة تضمن حياة الجسم والقيام بوظائفه فإن غالبية اهتمامات الإنسان ونشاطاته سوف تتركز حول هذه الدرجة من سلم الحاجات، بينما تنال بقية المستويات قليلاً من الدافعية.

[17] ـ أنظر معين الآباء في التربية الجنسية، ص 31
[18] ـ أنظر الإنسان والطاقات المعطلة، ص 35
[19] ـ الصحة النفسية، ص 60

حاجات الأمن: إذا بدأت الحاجات الفسيولوجية بالاكتفاء تصبح الحاجة إلى الأمن أكثر هيمنة، وتسيطر على الاهتمامات وتوجه النشاطات، ومعناها التحرر من الخوف أو الإيذاء الجسدي أو الحرمان من الحاجات الأساسية، وثمة مظهر هام من مظاهر البحث عن الأمن يتمثل في الإنسان الذي يفضل المألوف على غير المألوف، يكثر ذلك بين المصابين بمرض الوسواس المتسلط، فهم يحاولون جهدهم تنظيم العالم حولهم بحيث لا يظهر فيه أي خطر مفاجئ، وهو تنظيم يستدعونه من مخيلتهم فيتصورون من حولهم وما حولهم على الشكل الذي يحقق لهم الأمن المطلق والسكون الدائم دون اضطراب.

حاجات المحبة والانتماء: لأن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش في عزلة، فإن له حاجة إلى الانتماء والتقبل من الأفراد والجماعة، لذا فإنه عندما تشبع لديه الحاجات الإنسانية وحاجات الأمن إلى الدرجة المقبولة، فإنه يبدأ التطلع إلى إيجاد علاقات ذات معنى مع الآخرين.

الحاجة إلى التقدير: وبعد أن يشبع الفرد حاجة الانتماء، يطمح لينال احترام الجماعة التي ينتمي إليها، وتقديرهم بما يشعره بالثقة بالنفس والقوة وبأنه شخص فعال مفيد وله بعض التأثير في بيئته، وإذا لم يستطع هذا الفرد إشباع حاجته للتقدير من خلال السلوك البناء فإنه قد يلجأ إلى السلوك العدواني التدميري والنشاطات غير الناضجة.

الحاجة إلى إثبات الذات: عندما تبدأ الحاجة إلى التقدير بالإشباع فإن الفرد يبدأ في التطلع إلى ما يثبت هذا التقدير ويخلده، وهي تستدعي مضاعفة إنتاج الفرد وبلوغ أقصى ما يستطيعه من الإبداع.[20]

يلاحظ على سلم الحاجات تلك أنها تتلاحم مع الأصول العقدية والقيم الأخلاقية التي يوجه إليها الإسلام، يقول الله عز وجل { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (36) رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) } [إبراهيم 34، 37]

المطلب الثاني: الاختلاط المطلق بين الجنسين ليس حلاً لمشكلة الكبت الجنسي

يظن البعض عندما يغضوا الطرف عن هدي الشريعة، ويريدون البحث في الحلول الناجعة لعلاج مشكلة الكبت الجنسي، أن ثمّة مخرجاً لتلك الأزمة من خلال دراسة أبعاد المشكلة كلها، عدا البُعد الفطري السوي المنسجم مع روح الشريعة، فتكون النتيجة أن تتفاقم المشكلة أكثر، وتمتد جذورها في الأعماق، وآثارها الضارة في الساق والأوراق..

لقد حدث معي ضمن عملي في مدرسة مختلطة، أنّ فريقاً من طلاب علم النفس جاؤوا في زيارة استقصائية للمدرسة، لدراسة تجربة الاختلاط بين الجنسين ـ خاصة في مرحلة سن التكليف ـ أي في المرحلة العمرية الحسّاسة جداً في فرض عنفوانها وهيجان وتقلّب رغباتها ـ

وللخروج بنجاح تلك التجربة في احتواء مشكلة الكبت الجنسي لدى الشباب، ولسوء حظهم كنتُ في استقبالهم، ثم دار الحديث بيننا في سبب هذه الزيارة، فقد كانوا يعتقدون اعتقاداً شبه جازم أن من تحاورهم بتلك الثقة؛ لم تكن كذلك لولا اختلاط مفتوح مع الجنس الآخر في البيت والمدرسة، ولا أعلم من أين تسلل إلى عقولهم أن الاندماج المفتوح بين الرجل والمرأة هو العامل الأساسي في قوة الشخصية واتزانها وتحقيق سويتها؟

[20] ـ أنظر الأمة الإسلامية، مفهومها، مقوماتها، إخراجها، ص 139، 140

والعكس هو الصحيح؛ فحريّ بالانسجام مع مبادئ الشريعة وضوابطها أن يكون هو مصدر هذه القوة، وذلك الاتزان، فلا تبديل ولا تحويل لسنّة الله عز وجل في خلقه {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30].

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون جميع خلقه من ذكر وأنثى، نجد ذلك في الحيوان وفي النبات وفي الظواهر الطبيعية كالكهرباء والمغناطيس، ونجده في الكرة الأرضية نفسها، فأحد قطبيها سالب والآخر موجب، ونجده في أدق دقائق الخلق وألطف وحداته، وهي الذرة، يقول الله عز وجل {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: 36] فمن طبيعة الأزواج في كل هذا الخلق أن تتجاذب، فالذكر والأنثى في النوع الواحد يتجاذبان حتماً حسب ما بنى الله عليه طبيعة كل منهما، وحسب ما هدى إليه من فطرة قال تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} [طه: 50] فميل الرجل للمرأة وميل المرأة للرجل هو جزء من قانون عام اقتضته حكمة الله سبحانه، لا سبيل إلى تجنبه أو إنكاره، وليس من المطلوب ولا هو مما يسعى إليه أن يخفف هذا الميل أو يعمَل على إضعاف جدّته.. ثم إن في إطلاق الأمر في تجاوز الرجل والمرأة واختلاطهما لا يخلو من أحد أمرين:

فهو إما أن يؤدي إلى إثارة الشهوة في الجنسين وزيادة حدّتها، أو يؤدي إلى إضعافها وكسر حدّتها.(21)

فإذا كان الاختلاط مؤدياً إلى تجاذب الذكر والأنثى على كل ما ركب في طبيعة كل منهما، ولم تكن هناك حدود لهذا الاختلاط أو نظام مرسوم، تحول الأمر إلى فوضى لا ضابط لها، وعند ذلك يشيع الأذى بين الناس، بشيوع الأمراض التي قدّر الله سبحانه أن يضرب بها الذين يقترفون الفاحشة من الزناة، ويفسد المجتمع ويضطرب نظامه، ويتمزق شمل جماعته ويموج الناس في بعض، بتكاثر الأحقاد والضغائن بين الآباء الذين أوذوا في بناتهم، والأزواج الذين أوذوا في نسائهم، والأولاد الذين أوذوا في أمهاتهم، وبين المتنازعين والمتنازعات والمتنافسين والمتنافسات على العشيق الواحد والعشيقة الواحدة، وذلك كله مما لا خير فيه مطلقاً، ومما لا تسعى إليه جماعة من الناس تنشد الوحدة والطمأنينة والسلام، وتتجنب السب التي تظن أنها لا تؤدي إليهما، ذلك أحد الفرضين.

أما الفرض الآخر فهو أن التجاور بين الرجال والنساء وكثرة اللقاء بينهم، موجب لإضعاف التجاذب بخفوت صوت الشهوة الجنسية وإضعاف حِدّتها أو تحويلها عن وجهها وأسلوبها، على ما يزعمه الزاعمون، من بعض الباحثين في الدراسات النفسية، الداعين إلى تهذيب الغريزة الجنسية أو التنفيس عنها، ومعنى هذا أن يجد كل من الذكور والإناث لذتهم في مجرد الاستمتاع في الحديث والنظر، وأن طول التجاور والتقارب يولّد في نفوسهم ونفوسهنّ شيئاً من الإلف لا تثور معه الرغبة في الاستمتاع الكامل، وذلك كله أمر معقول ومحسوس يؤيده المنطق والتجربة، لأن إلف النفس للشيء وتكرار اعتيادها إياه يضعف أثره فيها، فالذي يطيل المكث في مكان عفن ونتن يفقد الإحساس بعفنه ونتنه على مر الزمان، والذي يدمن شم رائحة زكية يفقد الإحساس بطيبها بعد وقت قصير أو طويل، وكذلك الشأن في الرجال والنساء، فالذين يسكنون المدن من الرجال لا يثير غرائزهم الجنسية رؤية أذرع النساء وسوقهن وصدورهن، وفي هؤلاء الرجال من كان يعيش في الريف من قبل، وكان يثير شهوته مجرد الاستماع إلى صوت المرأة أو مجرد النظر إلى وجهها، ذلك أمر صحيح تثبته التجربة ويؤكده الواقع، فأي شيء يسمى هذا الذي يسعون إليه ويبذلون الجهود لتحقيقه ؟

[21] ـ أنظر حصوننا مهددة من الداخل، ص 69، 70

أليس هذا هو البرود الجنسي؟

إذا رأى الرجل المرأة فلم يثر فيه هذا اللقاء ما يثور عادة في الرجال عند رؤية النساء، وإذا رآها بعد ذلك عارية الأذرع والسوق، بارزة النهود والأوراك، فكان قصارى ما يلتذ به هو الحديث والنظر، ولم يستتبع هذا الحديث والنظر أي اندفاع أو رغبة في ممارسة الصلة الجسدية، أليس يكون قد بلغ عند ذلك بما يسمى بالبرود الجنسي؟ وهو برود مزدوج يشمل الرجال والنساء، أليس البرود الجنسي مرضاً يسعى المصابون به إلى الأطباء؟

يلتمسون منه البُرء والشفاء؟ فكيف إذاً نجعل هذا المرض غاية من الغايات نسعى إليها، باسم التنفيس عن الكبت أو تهذيب الغريزة الجنسية؟ وكيف يكون الحال لو تصورنا هذا الناموس _ ناموس تجاذب الذكور والإناث _ وقد تهذب سائر الخلق، فبطل تجاذب السالب للموجب أو فتر، فأصبح من غير المؤكد أن يترتب على التقائهما التّوق الشديد والميل العنيف الذي لا يقاوم إلى الاندماج الكامل؟ أليس يفسد الكون كله؟ (22)

{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ} [المؤمنون:71]

المطلب الثالث: ثنائية تتقاسم المسؤولية

البيت والمدرسة فلا نذهب بعيداً في تحليلاتنا وتأويلاتنا لكل أشكال الشذوذ وضياع الهوية الجنسية، وبين أيدينا نواة يريد الانفتاح العشوائي على الغرب أن ينهيها ويقضي عليها، وهي الأسرة، من شأن هذا الانفتاح أن يروج لاكتفاء المرأة بعيشها المستقل عن الرجل، ومنازعتها إياه بتسويتها ليكون لها نداً وليس نصفاً مكمّلاً، وأن يرغب الرجل كذلك بعيشه وحيداً مستغنياً عن المرأة التي لا تملك من الأنوثة إلا جسداً هو للعرض فقط، ولن نستغرب بعد ذلك سر المثلية الجنسية والتحول الجنسي مادامت الأسرة المكونة من رجل وامرأة وأولاد، هي من هوامش الاهتمامات والتوجهات.

تجمع كل الأديان على أن الأسرة هي اللبنة أو الوحدة الاجتماعية الأساسية، وأن الزواج هو الطريق الوحيد لتكوين الأسرة، والزواج في نظر الدين، يمنح السكينة لكل من الزوجين ويقيهما من السلوك الجنسي المنحرف، ويعتبر الزواج هو الوسيلة الوحيدة المقبولة لتلبية الاحتياجات الجنسية للشباب، وتوقي الحمل خارج إلا من السلوك الجنسي المنحرف، ويعتبر الزواج هو الوسيلة الوحيدة المقبولة لتلبية الاحتياجات الجنسية للشباب، وتوقي الحمل خارج الإطار الشرعي، والوقاية من الأمراض المنقولة جنسياً، والزواج هو الوسيلة الوحيدة التي تحقق " المعافاة الكاملة بدنيا ونفسيا واجتماعيا في كل ما يتعلق بالجهاز الإنجابي ووظائفه وعملياته " وفق تعريف منظمة الصحة العالمية للصحة الإيجابية، فهو يحقق المعافاة الاجتماعية بإرساء وترسيخ قواعد بنيان الأسرة التي هي الوحدة المجتمعية الأساسية..

ويحقق الزواج المعافاة النفسية بما يجلبه من سكينة ومودة ورحمة، يقول الله عز وجل: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21].

لذا فمن المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين تعليم الولد منذ أن يميز الأحكام الشرعية التي ترتبط بميله الغريزي ونضجه الجنسي، وقد كتب المسلمون الأوائل مؤلفات عديدة حول " التربية الجنسية " بالرغم من أنهم لم يستعملوا مصطلح " التربية الجنسية " باعتبار أنه مصطلح حديث نسبياً، ومن ذلك بعض المخطوطات القديمة ومنها مثلاً:

[22] ـ أنظر المرجع السابق، ص 71

"نزهة الأرواح وبهجة الأشباح " لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن البهنسي المتوفي: 1001 هجرية، وهي مخطوطة تدور حول العلاقة الزوجية والنظافة الجنسية..

"رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب "لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن فولتيه الكاتب اليمني، وهي مخطوطة تتكلم عن النظافة الجنسية..

وكتاب الإسلام الخالد، القرآن الكريم، فيه من الآيات القرآنية، ما هو قريب من توجيه الجانب الجنسي أو بعيد،[23]وتحديد ملامح الوضع الأسري المستقر، الكثير جداً، وعلى سبيل المثال لا الحصر، ما ورد في سورة النساء قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ} [النساء: 1].

وفي سورة النور تلك السورة التي تعتبر نوراً للبيوت والمجتمعات بتوجيهاتها التي تضبط الميول والغرائز وتوجهها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور: 58].

هذه الآداب التي ذكرها الله عز وجل في كتبه، وفي هذه السورة بشكل مفصل، دليل على أهميتها، ودورها في تحصيل الطهارة والفضيلة، ولا ننسى أن السورة قد بدأت بمعصية يضيع لا يحفظ فيها العرض، ويضيع فيها النسل، وهي معصية الزنا، لذا تضمنت السورة كل الأسباب التي تحول بين دون تدهور المؤمن في اتباع خطوات الشيطان ووساوسه في تزيين المعصية، بشكل مفصّل ومبيَّن لأهمية بقاء نواة المجتمع، نواة صالحة للنبات والإنبات الطيب الحسن..

ومما يجدر بنا أن نذكره هنا من سلوكيات بعض الآباء عندما يتم اجتناب الحديث حول هذا الأمر بصراحة وشفافية بين الأم وابنتها، بين الأب وابنه، أو ما يقوم به أحدهما أو كليهم من قمع الولد أو البنت إن تم السؤال عن شأن جنسي، خطر في بالهم أو عرض عليهم من الخارج وأرادوا أن يستفسروا عن معناه، عندها من الأفضل نحو تربية جنسية جيدة الاستماع للأبناء، والإجابة عن أسئلتهم واستفساراتهم بما يناسب المرحلة العمرية.

أما المدرسة، فالمسؤولية يتحملها المعلمون، خاصة مدرسي مادة التربية الدينية الإسلامية بما تملكه المادة من أبواب وفصول تساهم في تكوين شخصية المسلم تكويناً قويماً متكاملاً، وتشكيل عقيدته وقدراته.

والحمد لله من قبل ومن بعد

3. الخاتمة:

إن الخريطة الإلهية في تزكية النفس وتهذيبها لا تعلو عليها خريطة، ولا يعلو على منهجها منهج أو فرضية أو نظرية، ولا يستبدل العقل الذكي الذي أدنى بالذي هو خير، لذا فإني في هذا البحث بذلتُ جهدي أن أسلط الضوء على اتساق هذه الخريطة، واحتوائها لحاجات الإنسان، على خلاف كل من تجاهل هذا الاتساق، واضعاً خريطة من عنده يدعي أنها تجلب السعادة للإنسان وتخلصه من شقائه وتعاسته، منظومة متكاملة هي التي من شأنها صناعة الإنسان الكامل المتزن الراشد، يفقه حقيقة وجوده وغاية وجوده، ويمضي في طريقه على صراط مستقيم.

[23] ـ معين الآباء في التربية الجنسية للأبناء، ص 30، 31

1.3. نتائج البحث:

1- إن السبب الرئيسي لنشأة الاضطراب النفسي هو مخالفة سنن العافية والصحة التي أمر الله عز وجل عباده أن يأخذوا بأسبابها ضمن ضوابط وحدود الشريعة، والمنظومة الدينية الإسلامية تكفلت للمؤمنين بتحصيل السعادة النفسية في أسمى صورها، وليس على مستوى الدنيا فقط بل سعادة الدنيا والآخرة.

2- لم تفلح آراء فرويد في معركة البقاء ونفع البشرية، لأجل جذورها الفاسدة والمفسدة والنوايا الخبيثة في إضلال الناس، وهذه سنة الله قال تعالى: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} (الرعد: 18)

3- ترحب المنظومة الإسلامية بالعلوم التي تؤدي للغايات نفسها التي وجدت لأجلها الشريعة، وهي تحقيق مصلحة الإنسان العاجلة والآجلة، وفوزه بالجنة ورضوان الله عز وجل والنجاة من النار.

2.3. توصيات البحث:

1- على المسلم أن يتحرى الحقائق ضمن دائرة تكليفه وإحساسه بالمسؤولية، فلا يغتر بالعلوم التي تدعي شفاء الإنسان ونجاته من الهلاك، بل عليه أن يكون يقظاً في كل ما يأخذ ويرد.

2- على الآباء أن يدركوا مسؤوليتهم في التربية وبناء الأسرة، الكيان المستهدف من قبل أعداء الإسلام في التدمير والإفساد والإنهاء، بمتابعة أبنائهم والاقتراب منهم، والاستماع إليهم ومحاورتهم وحل مشكلاتهم، فتلك المسؤولية رعاية كاملة سيسألون عنها يوم القيامة.

4. قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم
2- الكيلاني، ماجد عرسان. (2000م). الأمة المسلمة، مفهومها مقوماتها، إخراجها، مؤسسة الريان الطبعة الثانية 1421هـ.
3- الحاج، فائز محمد. (د.ت). الصحة النفسية، أستاذ علم النفس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المكتب الإسلامي.
4- الغزالي، محمد. (2005). الإسلام والطاقات المعطلة. دمشق: دار القلم. (الطبعة الثانية).
5- فرويد، سيغموند. (دون تاريخ). الموجز في التحليل النفسي. (ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام القفاش، ومراجعة مصطفى زيوار).
6- حسين، محمد محمد. (1983). حصوننا مهددة من الداخل. بيروت: مؤسسة الرسالة. (الطبعة الثامنة).
7- حبنكة الميداني، حسن عبد الرحمن. (2007). كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة. دمشق: دار القلم. (الطبعة الرابعة).
8- محمود، مصطفى. (دون تاريخ). علم نفس قرآني جديد.
9- قطب، محمد. (دون تاريخ). مذاهب فكرية معاصرة.
10- فرويد، سيغموند. (دون تاريخ). مستقبل وهم. (ترجمة جورج طرابيشي). بيروت: دار الطليعة.
11- ابن منظور، محمد بن مكرم. (دون تاريخ). لسان العرب. (الأنصاري، أبو الفضل جمال الدين).
12- المبيض، مأمون. (2005). معين الآباء في التربية الجنسية لدى الأبناء. المكتب الإسلامي. (الطبعة الأولى).
13- المسيري، عبد الوهاب. (1999). موسوعة اليهود واليهودية والصهاينة. القاهرة: دار الشروق. (الطبعة الأولى).

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v6.61.8